صور الطب وأساليب العلاج في مضامين الأمثال الشعبية
(دراسة اجتماعية طبية – تحليلية)

عبد الرزاق صالح محمود*

تاريخ استلام البحث ٢٠١٠/١٠/١٨

تاريخ قبول النشر ٢٠١٠/١٢/١٢

ملخص البحث

يهدف البحث إلى تشخيص الأمثال الشعبية الخاصة بالمجتمع الموصلي المرتبطة بالطب والعلاج والصحة والمرض، ويهدف إلى الكشف عن المضامين الطبية والصحية العلاجية والوقائية في الأمثال الشعبية الموصلية، اعتمد البحث بصورة رئيسة على منهج تحليل المضمون لتحليل مضامين الأمثال الشعبية وتحديد الطرائق والمسارات المتعلقة بالجانب الطبي– موضوع البحث.

وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها أن الأمثال الشعبية كانت مرتبطة بالصحة والطب والعلاج من المرض في مسارات متنوعة،منها ما اخذ جانب أو مسار النصح والإرشاد للوقاية من الأمراض، ومنها ما حدد وجود بعض الطرائق العلاجية التي كانت موجودة في فترة معينة كالحجامة والكي ومنها ما وصف مدى شدة المرض وخطورته للأخذ بالأسباب واتخاذ الإجراءات الوقائية لتفادي الإصابة بالمرض.

Forms of Medicine and the Methods of Treatments in the Implications of Folk Sayings :An Analytic Medical Sociological Study

Lect. Abdul Razzak. S. Mahmood

Abstract:

The research aims at identifying the Mosuli folk sayings , relevant to medicine , treatment , health and illness . It aims at uncovering the preventive treatment , health , medical implications of Mosuli folk sayings. It mainly

* مدرس/ مركز دراسات الموصل.

depended on the methods of content analysis of the folk saying determining the methods and courses of the medical field , that have something to do with the research.

The research concludes a group of results ; the most important one is that folk sayings have been related to health ,medicine and treatment in various ways . Some of these ways take the shape of advice and instructions of treatment ,and some of them determine the existence of some preventive methods that were present in a certain period like cupping and cauterization .These others describe the extent of the illness, and its seriousness to determine causes and taking preventive measures to avoid the desease.

مقدمة:ـ

تعد الأمثال الشعبية من أكثر عناصر الفلكلور جدارةً بالدراسة والاهتمام خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أن المثل الشعبي أصبح أكثر تداولاً واستخداماً في الحياة اليومية بالنسبة للفرد والمجتمع فنحن لا نعيش الأفراح كل يوم ولا نقيم المناسبات كل يوم ولكننا في حياتنا اليومية نكاد نورد أكثر من مثل شعبي واحد في كل حديث نجريه مع غيرنا، ومن المؤكد أن المثل الشعبي يتناول في مضامينه ومحتوياته العديد من التفسيرات والدلالات الاجتماعية والدينية والاقتصادية والثقافية والصحية وغيرها من التفسيرات التي كانت نتيجة حادثة وقعت أو قصة حقيقية أو خلاصة موضوع معين أو موقف معين بلور تلك الفكرة وصاغها مثلاً شعبياً حمل المعنى الاقتصادي أو الاجتماعي أو الديني أو الثقافي أو الصحي أو غير ذلك حسب الفكرة وحسب المجال الذي كان فيه المثل.

وما يهمنا من جوانب الأمثال الشعبية هو الجانب الطبي أو الصحي (موضوع البحث)، فمن المؤكد أن المجتمعات البشرية عامة ومجتمع مدينة الموصل (مجتمع البحث) بخاصة عاشت تجارب مع المرض والطب والصحة، وإلا لما كانت هناك أمثال شعبية تؤكد وجود طرائق علاجية في فترةٍ من الفترات الزمنية في حياة المجتمع، ولما أخذت الأمثال جانب النصح والإرشاد لتفادي خطر الأمراض والإصابات، وفي بحثنا هذا نسعى إلى توضيح الاتجاهات والتفسيرات التي تضمنتها الأمثال الشعبية المتعلقة بالجانب الطبي والعلاجي (موضوع البحث).

وقد جاء البحث في أربعة مباحث تناول الأول منها تحديد مشكلته وأهميته وأهدافه وتحديد مصطلحاته ومفاهيمه وكذلك تناول منهجية البحث المتمثلة بمنهج تحليل المضمون لتحليل مضامين الأمثال الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض–موضوع البحث، في حين تناول المبحث الثاني الأمثال الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض في مدينة الموصل أما المبحث الثالث فقد تضمن الجانب التحليلي من الدراسة إذ تناول البحث الأمثال الشعبية المرتبطة بالطب والعلاج والأمراض والإصابات وتضمن تحليلها اجتماعياً، وتضمن المبحث الرابع نتائج البحث ثم التوصيات والمقترحات وأخيراً المصادر والمراجع.

المبحث الأول:ـ الإطار النظري للبحث:ـ

أولاً: تحديد مشكلة البحث:ـ

تعد الأمثال الشعبية الإرث الاجتماعي والثقافي للمجتمع وهي عصارة الجهد البشري إذ تعد الملخص والموجز المفيد لموقف من المواقف عاشه الإنسان في المجتمع في فترة من فترات حياته، والمثل الشعبي نتيجة حادثة أو تجربة أو فكرة صيغت بكلمات قليلة لتكتمل في معنىً واضح ومتكامل يدل على موضوع معين أو ظاهرة معينة تحمل في مضامينها مدلولات مختلفة لتعطي معنى الموضوع أو الظاهرة.

فالمثل الشعبي يكون ذا مدلولات اجتماعية أو اقتصادية أو دينية أو صحية أو غير ذلك من جوانب الحياة الأخرى، تلك المدلولات التي تدل على طريقة تفكير أفراد المجتمع أو طريقة تعاملهم مع الآخرين أو تعاملهم مع ظروف الحياة المختلفة، أو قد تعكس أسلوب عيش جماعة معينة من المجتمع، أو قد تحدد أو تفسر ضوابط ومعايير ظاهرة معينة أو موضوع معين...إلى آخره من التفسيرات التي يذهب إليها المثل الشعبي ليصوغ لنا الأسلوب الفكري أو طريقة التعامل أو السلوك أو الكيفية التي عاشها الفرد في المجتمع في زمن معين.

وما يهمنا من موضوع الأمثال الشعبية هو الجانب الطبي أو الصحي(موضوع البحث) وما يتضمنه ويشير إليه من تفسيرات ومضامين "علاجية، وقائية، صحية، مرضية"، فقد يتضمن المثل الشعبي وصفاً لفصل من فصول السنة مثل (هواء الخريف يسمم وهواء الربيع يسمن) فيجعلنا نفكر في كيفية التعامل لتجاوز الإصابة بالأمراض في الخريف والفائدة التي يعطينا إياها فصل الربيع، وكذلك المثل القائل (الصيف ضيف والشتاء شدة) يوضح لنا كيف يكون الشتاء وبماذا يختلف عن الصيف، أو قد يبين الحد الذي يصل إليه

الإنسان من الآلام والأوجاع مثل (واويلاخ لولا وجعي ما قلت آخ)، أو قد يشير المثل الشعبي في مضمونه لطريقة علاجية مثل (تعلم الحجامي براس اليتامي) أو مثل (آخر الدوا الكي) فهنا يشير إلى الحجامة والكي كطريقتين علاجيتين من طرائق العلاج الشعبي، أو قد يعطينا المثل الشعبي أفكاراً بأسلوب النصيحة مثل (اليبدل هوا ما يلزمو دوا) أو مثل (بيت التدخله شمس ما يدخله حكيم)، أو مثل (ترك الدواء داء)، أو مثل (تغدى وقم تمطى وتعشى وقم تمشى) إلى آخره من المدلولات والمضامين التي يعكسها المثل الشعبي ليخلق لنا صورة توضح كيفية التعامل مع الظاهرة موضوع البحث والتي سنتطرق إليها ونوضحها من خلال المضامين التي ترسم الطرائق والمسالك المتعلقة بالظاهرة المدروسة في مجتمع البحث.

ثانياً: أهمية البحث:ـ تتأتى أهمية البحث من :-

١- الاهتمام بصحة الإنسان وعلاجه من الأمراض أو وقايته منها ليس موضوعاً مبتكراً أو حديثاً إنما هو قديم ويتمثل ذلك بالموروثات الشعبية بما فيها الأمثال الشعبية التي تناقلتها الأجيال المتعاقبة في المجتمع.

٢- استخلاص التجارب العلاجية والصحية والطبية من خلال تحليل مضامين الأمثال الشعبية الموروثة والتي كانت حصيلة تجارب الأجيال السابقة في المجتمع.

٣- محاولة تفكيك رموز الأمثال الشعبية والوصول من خلالها إلى ما يخدم صحة الفرد والمجتمع وذلك باستنباط الحلول المناسبة والسبل الصحيحة التي تحافظ على صحة أفراد المجتمع.

٤- محاولة قراءة الأفكار العلاجية الشعبية التي كان يسير عليها السابقون من أفراد المجتمع وتحديد الطرائق العلاجية التي كانت متبعة آنذاك.

ثالثاً: أهداف البحث:ـ يهدف البحث إلى :-

١- تشخيص الأمثال الشعبية الموصلية الخاصة بالطب والعلاج والمرض والصحة.

٢- تحديد المسارات العلاجية والوقائية والمقاصد والمضامين الطبية والصحية للأمثال الشعبية الموصلية.

رابعاً: تحديد مصطلحات البحث ومفاهيمه:ـ

إن تحديد وتوضيح المفاهيم مهم وحيوي من اجل إغناء هذا البحث وجعله مكتمل العناصر والجوانب، ولا بد من إعطاء توضيحات لمفاهيم البحث ومصطلحاته من اجل الوصول إلى رؤية واضحة وبسيطة ومفهومة لكل ما يتعلق بالبحث من مفاهيم وبالتالي تصبح عملية الدخول إلى البحث والاطلاع

على جوانبه سهلة وواضحة من خلال أتباع الدقة والموضوعية التي لا غنى عنها في مجال العمل الجاد، وسيعطي الباحث تعريفات للمثل الشعبي وكذلك للمفاهيم والمصطلحات المتعلقة والمرتبطة بالطب والعلاج الموجودين ضمن عنوان البحث وهي "الطب، الطب الشعبي، الطب الحديث، الصحة، المرض".

المثل في الكلام هو أن يذكر لحالٍ من الأحوال ما يناسبها ويشابهها ويظهر من حسنها أو قبحها ما كان خفياً[١]، **والمثل** عبارات قصيرة ترسلها البيئة الشعبية التي انبثقت عنها وتدور على ألسنتها دون أن تبدل نصها أو تحرفه وهي غالباً ما تكون مرتبطة بحادثةٍ أو قصةٍ مؤثرةٍ فيخرج المثل ليلم بالحادثة في كلماتٍ قصيرةٍ يسهل حفظها وتداولها بين الناس[٢]،**والمثل** كما يعرفه الكسندر كراب ..هو تعبير عن حقيقةٍ مألوفةٍ صيغت بأسلوبٍ مختصر حتى يتداوله جمهور من الناس[٣]، كما ويعرف المثل بأنه القول السائر الجاري على ألسنة الناس لتعريف الشيء بما سبقه من أشياء أو حوادث مشابهة، فالأمثال أفكارٌ اختلجت في النفوس ومعانٍ تصورت في الأذهان وجاشت بها الصدور واتصلت بالخواطر ثم أكدتها التجارب فجرت على ألسنة البلغاء والفصحاء وسارت مع الزمان معبرةً عن قصةٍ وقعت أو تجربةٍ حدثت أو أسطورةٍ تروى وخرافةٍ تحكى[٤]، والمثل بشكلٍ خاص يعبر عن ردود انفعالية ولو كانت بسيطة تجاه الأحداث بغض النظر عن سلبية هذه الردود أو ايجابيتها[٥].

أما **الطب** فإنه علم وفن يُعنى بدراسة الأمراض ومعالجتها والوقاية منها، فهو علم لأنه مبني على المعرفة المكتسبة من خلال الدراسة والتجريب الدقيق، وفن لأنه يعتمد على كيفية تطبيق الأطباء البارعين والعاملين الآخرين في مجال الطب هذه المعرفة حينما يتعاملون مع المرضى، وتشمل أهداف الطب إنقاذ الأرواح وعلاج المرضى، ولهذا السبب يُعَدُّ الطب منذ أمد بعيد من أكثر المهن احترامًا[٦].

في حين يعرف **الطب الشعبي** بأنه مجموعة من العلاجات تكمن خلفها تجارب ومعارف الشعوب، إذ استطاعت هذه العلاجات أن تحافظ على مكانها على الرغم من الاكتشافات الطبية الحديثة[٧]، والطب الشعبي هو الأسلوب العلاجي الذي يتبعه الناس بالاعتماد على السلف وخزين الموروث الاجتماعي في مجال الصحة والمرض دون الأخذ بنظر الاعتبار الناحية العلمية الطبية للعلاج[٨].

أما **الطب الحديث** فهو الأسلوب العلاجي العلمي المعتمد على المعرفة العلمية والذي يمارسه ذوي الاختصاصات الأكاديمية العلاجية[٩]، والطب

الحديث هو مهنة إنسانية وأخلاقية وعلمية تحتم على من يمارسها أن يحترم الشخصية في جميع الظروف والأحوال[١٠] وهو أي-الطب الحديث- مرتكز على شيء أساسي هو الضمير ثم على العلم والخبرة، فمهنة الطب هي أكثر المهن التي تحتاج إلى الأمانة الأخلاقية والعلمية لكون الطبيب مؤتمن على أرواح الناس وأسرارهم وأعراضهم.

وبالنسبة للصحة والمرض فقد أعطت منظمة الصحة العالمية "WHO" تعريفاً **للصحة** على أنها حالة من السلامة والكفاية البدنية والعقلية والاجتماعية الكاملة وليست مجرد الخلو من المرض أو العجز[١١]، أما **المرض** فيمكن تعريفه بأنه حال انحراف الوضع الصحي الذي يتسبب عنه الشعور بعدم الاطمئنان على الوضع الاعتيادي العام للمريض[١٢].

خامساً: منهجية البحث:-

استخدم الباحث في بحثه منهج تحليل المضمون إذ قام بتحليل الأمثال الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض والطب والعلاج ومتابعة أفكار أفراد المجتمع وتصوراتهم تجاه المتعلقات المرتبطة بالجانب الطبي أو الصحي[١٣].

المبحث الثاني: الأمثال الشعبية المتعلقة بالصحة والمرض في مدينة الموصل:-

تعد الأمثال الشعبية تعبير حر وصادق عن طبيعة العصر في نظمه السياسية والاقتصادية وعاداته الاجتماعية ومعتقداته الروحية ومثله وأهدافه[١٤] وتختلف الأمثال باختلاف عقليات المجتمع وطبقاته[١٥]، لذلك فإنها أي الأمثال الشعبية تثير تفسيرات عديدة ومتشعبة لأنها تكشف عن حقائق وكل حقيقة لها جانب من الدراسة[١٦] لأن المثل خلاصة موضوع أو قصة أو حادثة صيغت لتكون مثلاً شعبياً له تفسيرات معينة ذات دلالات تدخل في ميادين معرفية واسعة[١٧].

ويتفق البلاغيون واللغويون والاجتماعيون على أن الأمثال الشعبية تحتوي على عوامل تمثيل وكناية غير تصريحية وتقريب المحسوس بطريقة تصويرية[١٨]، وتمثل هذه الأمثال مجموعة خبرات اجتماعية وسياسية واقتصادية في زمنٍ كانت المجتمعات والشعوب فيه بعيدة عن عصر العلوم[١٩] فكانت الأمثال الشعبية انعكاساً لتجاربها في أدوارها التاريخية المختلفة[٢٠]، لأنها تعبر عن تجربة الفرد للحياة اليومية بما تتضمنه من حكمةٍ ودراية وتجربةٍ نافذة[٢١].

ومن المؤكد أن للأمثال الشعبية أغراض وغايات مختلفة على اختلاف هذه الأمثال ومضامينها وكلماتها ومدلولاتها وطرق صياغتها[٢٢] ولعل الصحة والمرض وكل ما له علاقة بالطب والطرائق العلاجية – موضوع البحث هو

أحد هذه الأغراض والغايات حيث تشير الأمثال الشعبية في مضامينها ومدلولاتها إلى متعلقات عديدة ترتبط بالصحة والمرض والعلاج والطب الخاصة بمجتمع من المجتمعات البشرية(٢٣).

ومجتمع مدينة الموصل هو أحد هذه المجتمعات التي تمتلك إرثاً حضارياً كبيراً وتتمسك بالعادات والتقاليد الموروثة عن الأجداد(٢٤)،وبما أن الأمثال الشعبية تمثل أحد أهم مصادر هذا التراث بوصفها ذاكرة المجتمع وحافظة تجاربه وخبرة أجياله كما أسلفنا وهي ترجمة صادقة للحس الشعبي المصاغ باللهجة المحكية(٢٥) فإن مجتمع مدينة الموصل له تراثٌ يزخر بالأمثال الشعبية التي تدخل في جميع جوانب المجتمع الثقافية والاجتماعية، فللسمات الثقافية قدرة هائلة في الانتقال عبر الزمن بل أن كثيراً من هذه الملامح والسمات التي تتمثل بوجهٍ خاص في العادات والتقاليد والعقائد والخرافات والأساطير تحتفظ بكيانها لعدة أجيال لا لشيء إلا لأنها وُجِدت في وقتٍ من الأوقات في المجتمع فتظل موجودة إلى فترةٍ طويلة(٢٦).

ومع تغير المجتمع الموصلي وتحوله من طورٍ إلى آخر ومن مرحلةٍ حضاريةٍ إلى أخرى لا سيما بعد ظهور وانتشار مظاهر التحضر والتصنيع والتحديث بشكلٍ لافتٍ للنظر وعَدُّ المجتمع الموصلي مجتمعاً متحضراً حسبما تؤكد الدراسات ذلك(٢٧)، إلا أننا لا يمكننا أن نفهم نسق الشخصية الموصلية بمعزلٍ عن علاقاتها بنسق البناء الاجتماعي والحضاري لمجتمع مدينة الموصل، لأن الشخصية هي النتاج الحقيقي للبناء الاجتماعي للمجتمع، فالبناء هو الذي يضفي عليها طابعها الخاص بمجمل ظروفه التاريخية والحضارية والإيكولوجية(٢٨) التي تتضمن العادات والقيم والأفكار والموروث الاجتماعي والثقافي للمجتمع الذي يضم العديد من مصادر التراث والتي تعُدُّ الأمثال الشعبية إحداها.

المبحث الثالث: تحليل الأمثال الشعبية المرتبطة بالصحة والمرض والطب والعلاج:ـ

تناولت الأمثال الشعبية* جوانب عديدة مهمة من حياة المجتمع على الصعيد الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والديني والصحي وما إلى ذلك، وتشعبت الأمثال الشعبية في كل جانب من هذه الجوانب إلى تفسيرات عديدة وحملت مضامين ودلالات متنوعة توضح لنا كيف كان تفكير أفراد المجتمع

*** لقد قام الباحث بتسجيل الأمثال الشعبية كما هي مكتوبة ومدونة في مصادرها، فمنها ما كان مكتوباً باللهجة الموصلية ومنها ما كان مكتوباً باللغة العربية وبصيغته النحوية ومنها ما كان مكتوباً بالأسلوب العامّي أو باللهجة الشعبية الدارجة.**

وكيف كانت سلوكياتهم خلال فترة معينة من فترات حياتهم وإن كانت أغلب مضامين هذه الأمثال اجتماعية بالإشارة إلى الحالة التي يتضمنها معنى المثل لكنها بالمقابل احتوت على مصطلحات ومضامين اقتصادية واجتماعية ودينية وثقافية بوجهٍ عام (ومضامين طبية وصحية–موضوع البحث بوجهٍ خاص)، وفي هذا المبحث سنبين المتعلقات والتفسيرات المرتبطة بالجانب الصحي أو الطبي وسنقوم بتصنيف الأمثال الشعبية المرتبطة بالصحة والمرض والطب والعلاج حسبما تحمله من دلالات ومضامين متعلقة بالظاهرة موضوع البحث إلى جوانبها المتشعبة وكما يأتي:–

١ـ طرائق العلاج الشعبي:ـ

أشارت الأمثال الشعبية إلى وجود طرائق علاجية شعبية في المجتمع الموصلي في زمنٍ معينٍ من حياتهم وذلك حسب إشارة الأمثال لذلك، فالمثل الشعبي (آخر الدوا الكي) يبين أن الكي من أشهر طرائق العلاج المعروفة منذ القدم في جزيرة العرب والمناطق المتاخمة لها (حيث كان اعتماد العرب الكبير في معالجة الأمراض قائماً على الكي والحجامة والبتر واستطاعوا أن يعرفوا أصول هذه الطريقة)[٢٩] وكذلك استخدم الكي في عصر الإسلام وقد جاء في الأحاديث النبوية الشريفة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال (الشفاء في ثلاثة، في شرطة محجم أو شربة عسل أو كية بنار وأنهي أمتي عن الكي)[٣٠] وقد يكون النهي عن الكي هنا لما في هذه الطريقة العلاجية من ألمٍ وقسوةٍ، ويجب أن يكون من يمارس الكي أشخاص ذوو معرفة ودراية في هذا الجانب العلاجي وقد تلقوا تدريباتهم بمهارة، فللكي مناطق خاصة في الجسم وأي خطأ في عملية العلاج يمكن أن يشكل خطورة على حياة المريض لذلك فإن (ممارسيها قلة ولكنهم على درجة عالية من الكفاءة والتركيز في هذا المجال)[٣١]، وكذلك الأمر بالنسبة للمثل (تعلم الحجامي برأس اليتامي) حيث يشير إلى وجود الحجامة كطريقة علاجية للأمراض وذلك يرجع إلى تاريخها القديم في الممارسة العملية للطب الجراحي وما زالت الحجامة تستخدم حتى يومنا هذا، وهذه المهنة القديمة في مجال التطبيب استطاعت في بعض البلدان أن توجد لنفسها مكاناً كعلم يدرس، وما يميز هاتان الطريقتان العلاجيتان (الكي والحجامة) هو أنهما كما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي أشرنا إليه سابقاً مذكورتان في أحاديث المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم وذكرهما في الأمثال الشعبية دليل عمقهما الزمني واستمرارهما هو ما يعلل نجاحهما.

٢ـ ارتباط المرض والعلاج بفصول السنة في الأمثال الشعبية:ـ

أشارت الأمثال الشعبية إلى أن المرض والعلاج قد يرتبطان بفصول السنة الأربعة فيشير المثل الشعبي إلى أن هواء الخريف مخيف لكثرة تقلبات الجو واضطراب المناخ ولأن الإنسان مقبل من حر إلى برد ولم يكتسب مناعة ضد الجو البارد، على العكس من فصل الربيع على اعتبار أن الطقس الربيعي ملائم جداً للشخص ويبعث الطمأنينة والراحة في النفس البشرية وهواء الربيع منعش ولطيف وليس فيه ضرر وهذا ما يشير إليه المثل (هواء الخريف يسمم وهواء الربيع يسمن)، وكذلك يشير المثل إلى النسيم البارد والجو الدافئ في فصل الربيع كما يقول المثل (برد الربيع يقسمل الاصيبيع*) وكذلك المثل (الدفا عفا أو الدفو عفو) وهو يشبه المثل العامّي (محد كن قال أخذ حر، يقولون أخذ برد) أي أن البرد يجلب الأمراض أما الدفء فصحة، أما فيما يخص فصل الشتاء والصيف فإن المثل الشعبي (الصيف ضيف والشتاء شدة) أشار إلى أن برد الشتاء يمثل شدة للإنسان على اعتبار البرودة القوية والأمطار وما قد ينتج عنهما من أمراض ويبين المثل أنه من الممكن تحمل حرارة الصيف لأن فترته قصيرة تقريباً وهو كالضيف الذي يمكن تحمله وذلك كنايةً عن قصر مدته.

٣ـ النصائح الطبية:ـ

تضمنت الأمثال الشعبية العديد من النصائح الطبية التي تؤكد على ضرورة الالتزام بالنظافة وتغيير الأجواء وضرورة المشي بعد تناول الوجبات الغذائية وما إلى ذلك، فالمثل الذي يضرب في النظافة وخشية الانتقاد (اكنس بيتك ما تعرف من يدوسو واغسل وج ابنك ما تعرف من يبوسو) هو دليل على نصح الآخرين بضرورة التزام النظافة والحرص على تنظيف المنزل ومراعاة الأبناء ونظافتهم خوفاً من انتقال الأمراض أو ما شابه ذلك، أما (اليبدل هوا ما يلزمو دوا) يؤكد على أن من يتنزه ويرتاد الأرياف والمتنزهات لا يحتاج إلى دواء، فهذا المثل يضرب في الحث على التنزه والخروج إلى الأماكن الطلِقة ويؤكد على أن تغيير الأجواء الطقسية مهم جداً للإنسان حيث أن استنشاق الهواء الصافي والخروج إلى المناطق المفتوحة الخضراء يبعث إلى الراحة والطمأنينة في النفس البشرية وبالتالي فإن تغيير الأجواء بصورة دورية يغني البشر عن الدواء حسبما تضمنت الأمثال الشعبية، وينصح المثل الشعبي كذلك بضرورة دخول أشعة الشمس إلى البيت إذ أنها تقتل الجراثيم وتقوم بتلطيف

*** يقسمل من القصل من شدة البرد، فقد تأتي موجة من برد في هذا الفصل أو ما يسمونه (كران) تؤثر على جسم الإنسان بعد أن يكون قد آنس اعتدال المناخ.**

الجو المنزلي وتمنع الرطوبة والحرارة وتساعد على تبـديل الهـواء وبالتـالي تكون بديلاً ناجحاً عن الحكيم أو الطبيب حسب تضمين المثل (بيـت التـدخلو شمس ما يدخلو حكيم)، وينصح المثل (تغدى وقم تمطى وتعشى وقم تمشى) بأن يقوم الشخص بالتمطية والحركة والمشي بعد وجبتي الغذاء والعـشاء أي بعـد تناول الطعام لكي يساعد ذلك على سهولة الهضم وراحة الجسم.

٤ـ الفائدة الطبية أو العلاجية للدواء:ـ

من المؤكد أن الدواء هو خير مُتَحَدٍ للأمراض، فقد تـضمنت الأمثـال الشعبية ذلك إذ أن المثل (اشتغل الدوا أبطنو) يعني فائدة الدواء بالنسبة للمريض ومساعدته للتخلص من علته، وكذلك (كل طب لوا دوا) يـشير إلـى حـصول الأمور بالأسباب الموصلة إليها فكل طب له فائدة علاجية، ويشبهه المثل (كـل داء له دواء) من حيث المضمون العلاجي والدوائي للطب في الـتخلص مـن الأمراض، و(ترك الدواء داء) يبين أيضاً ما للدواء من دورٍ مهمٍ وفعـالٍ فـي علاج الشخص من الأمراض وما لتركه من دور سلبي في التعافي من المرض في حالة التوعك والمرض.

٥ـ شدة الأمراض والأوجاع:ـ

أشارت الأمثال الشعبية في مناسباتٍ عديدة إلى شدة المـرض وقـسوته على الإنسان وما يسببه لهم المرض من آلام وأوجاع تضنيهم، فتحمل الأوجاع في المثل (وجع ساعة ولا وجع كل يوم) دليل على شدة المـرض وصـعوبته وإشارة المثل إلى ضرورة تحمل المريض لمشقة ساعة للعلاج وذلك يتمثل إمـا بإجراء عملية جراحية أو قلع سن مثلاً أو ما شابه ذلك أفضل من تكـرار الآلام والأوجاع يومياً فأتحمل المشقة الآن لأستريح فيما بعد، وذلك يتبين أيـضاً فـي المثل القائل (واويلاخ لولا وجعي ما قلت آخ) وهذا دليل على شـدة المـرض والوجع الذي يفرض على المريض أن يشتكي من قسوة المرض وما يسببه لـه من ألمٍ ووجع، أما المثل القائل (حمى ليلة عافية سـنة) يبـين المثـل فيهـا أن الإنسان الذي يصاب بالحمى تتأثر نفسيته وصحته البدنية ونظـراً لمـا تـسببه الحمى من أوجاع لأعضاء جسم الإنسان فإن المثل الشعبي أشار إلى أنهـا قـد تأخذ عافية سنة كاملة من الإنسان، وما يدل أيضاً على شدة المرض هو المثـل القائل (ثلاثة قليلها كثير: المرض والنار والعداوة) فيمكن أن يُخلق للبشر أعداءٌ من مواقف تضاد بسيطة جداً، وكذلك الحال بالنسبة للنار فيمكن أن تحترق غابة كبيرة بأكملها على أثر احتراق عود ثقاب صغير، والمرض كذلك مهمـا كـان بسيطاً كالأنفلونزا مثلاً أو وجع الرأس أو البطن إلا أنه يمثـل صـعوبة وألمـاً للشخص المريض ويؤثر على نفسيته وصحته.

٦ـ ضرورة الاهتمام بالمريض:ـ

أشارت الأمثال الشعبية إلى ضرورة الاهتمام بالمرضى ومراعاتهم لكي يكون شفاؤهم سريعاً وناجحاً، حيث أن (أدارينو مثل عين الغمداني) يشير إلى ضرورة مراعاة العيون المصابة بالرمد "الذي يمثل أحد الأمراض التي تصيب العيون" لكي تبقى العينان سليمتان من المرض ويكون شفائهما سريعاً، وكذلك (بلا أنفيس وجا أصفغ) إذ يضرب المثل بالضعيف الذي لا يقوى على احتمال الأذى وهو يشبهه هنا بالمرأة الحامل أو النفساء التي تعيش فترة نهاية حملها بحالة من الخوف والقلق وبعد فترةٍ من ولادتها للجنين في حالةٍ من التوعكات الصحية وهي بذلك تظهر على ملامح وجهها الاضطرابات الصحية وحالات التوعك والمرض والإجهاد.

٧ـ ارتباط العلاج بالجانب الديني للمجتمع:ـ

أخذت الأمثال الشعبية في هذا المجال ثلاثة تفسيرات من خلال متضمناتها الاجتماعية والدينية وكما يأتي :ـ

أ- إن أي مرض أو أية إصابة تذكر يكون شفاؤها مرهوناً بالتوكل على الله "عز وجل" (هذا دواك وعلى الله شفاك) أي أن الحكيم أو الطبيب يصرف العلاج والدواء بعد تشخيص العلة المرضية وهو متوكلٌ على الله "عز وجل" ومؤمنٌ بالعلاج منه تعالى وليس الأطباء إلا أسباباً في إشفاء الناس وبراءتهم من أمراضهم.

ب- إن الصحة البدنية والنفسية والعقلية للإنسان تكمن في الصيام الذي يعد أحد أعمدة الإسلام لكونه أحد أركان الإسلام الخمسة (صحة البدن في الصوم) فالصوم يبعث الراحة في النفس البشرية إيمانياً ودينياً وصحياً، ويعطي أعضاء الجسم الإنساني راحة وطمأنينة ويقيدها بالتصرفات الجيدة والمقبولة دينياً واجتماعياً مما ينعكس على الجانب البدني والصحي للفرد وقد جاء في الأحاديث النبوية الشريفة عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي محمد (صلى الله عليه وسلّم) أنه قال (أغزوا تغنموا، وصوموا تصحوا، وسافروا تستغنوا)(٣٢).

ج- اقترن الوجع والألم في الأمثال الشعبية بمفاهيم أخرى منها هموم الديون التي تفرض على الفرد قلقاً واضطراباً، ففي المثل القائل (كل بلاءٍ ولا بلاء الدَين وكل وجع ولا وجع العين) يختار المثل مرضاً اجتماعياً ودينياً غير مرغوبٍ فيه والدليل تضمين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة له والتأكيد على ضرورة إيفاء الديون والتخلص منها، وبالمقابل يورد المثل أوجاع العين على أنه وجعٌ قويٌ وشديدٌ مقارنة بالأوجاع الأخرى لذلك يشير إلى أن

كل الأوجاع تكون سهلة ويمكن تحملها إذا ما قورنت بوجع العين لشدة هذا الوجع والخوف من مصير مرض العين.

د- يؤكد المثل (كم من عليلٍ تعافى والمعافى مات) ارتباط علاج المريض وتحسن حالته بالقضاء والقدر المكتوب من عند الله "سبحانه وتعالى" على الإنسان فالدنيا لا تكون بحالٍ واحدة والمقادير لا تتقيد بإرادة البشر.

٨ـ الجانب العلمي للطب:ـ

يؤكد المثل الشعبي الموصلي أن الطبيب يجب أن تكون له دراية ومعرفة وإلمام وإدراك واسع بأسباب الحالات المرضية لتشخيصها ويجب أن تكون له معرفة علمية متكاملة أيضاً بتحديد العلاج والدواء المناسب للمرض وهذا ما يؤكده المثل القائل (نص طبيب يقتل ونص عالم يكفغ الناس) حيث يشير إلى أن الطبيب عليه أن يكون ملماً بأسباب المرض وطرائق العلاج والمثل هنا يقصد الطبيب ناقص العلم والتجربة والاطلاع، كما هو الحال بالنسبة للعالم الذي سيضل الناس عن الطريق القويم إذا ما كان علمه ناقصاً على اعتبار أنه ليس لديه معرفة كاملة وإلمامٌ واسعٌ بعلمه.

٩ـ الأمراض في الأمثال الشعبية:ـ

أشارت الأمثال الشعبية إلى العديد من الأمراض في مضامينها وتفسيراتها إذ أن (مغصتو بطنو) تفسر أمراض البطن وأوجاعها المتمثلة بالإسهال والمغص والتقلصات وما شابه ذلك مع العلم بأن المثل يشير إلى من خاف عاقبة سوء فعله، وكذلك فإن الأمثال (صداع ووجع رأس، أو علة هواء ووجع رأس، أو هوا وصداع غاس) تضرب في من يهتم بالأمر ولا فائدة له من ورائه، ومن أهمته أموره وشغلت باله فكد وتعب، لكنها كلامياً تفسر أيضاً وجود أمراض وآلام تتعلق بأوجاع الرأس المتمثلة بالصداع ووقوع الرأس والأمراض التي تترك أثرها السلبي على الإنسان صحياً.

١٠ـ شدة الأمراض وطول مدتها وعلاقتها بالموت:ـ

من المؤكد أن اشتداد المرض وطول فترة بقائه في جسم الإنسان وقسوة المرض تؤدي إلى مضاعفات قد تودي بحياة المريض إلى الموت، فالمثل (من طالت علته كان القبر مثواه) يؤكد أن اشتداد المرض وطول فترة بقائه وعدم تشخيص الدواء الملائم للمريض تعني أن نهاية الشخص باتت قريبة جداً وأصبح قريباً من الموت.

١١ـ التغذية الجيدة:ـ

تؤكد الأمثال الشعبية أن الصحة البدنية والجسمانية للفرد تكمن في تغذيته الجيدة ويوضح ذلك المثل القائل (الحيل باللكم) إذ أن التغذية الجيدة والملائمة تجعل الفرد سليماً وقوياً معافى من الأوبئة والأمراض.

١٢ـ أمثال شعبية أخرى:ـ

قد تحتوي الأمثال الشعبية على مفردات ومصطلحات ومفاهيم لها علاقة بالطب والمرض والآلام والأوجاع من حيث التسمية فقط ولكنها لا تمت بصلة للطب والصحة والمرض من حيث المضمون والتفسير، فمثلاً (ما أطيق أقول أش يوجعني) يتضمن مفردة الوجع لكنه يحمل مضموناً اجتماعياً أكثر منه طبياً، إذ يبين المثل أن الفرد يخشى الشماتة وفرح الأعداء والخصوم به إذا ما أصابته مصيبة أو عانى من مشكلةٍ معينة وهو يشبّهها في هذا المثل بالوجع أو المصيبة ويتضح ذلك أيضاً في المثل (أش ينفع الطب ما دام الألم جوى) الذي يضرب في محاولة إصلاح ما يعسر إصلاحه، وأشار المثل كذلك إلى مفردة أو مفهوم الطب في أمثالٍ عديدة منها (أ- وجع اللا هجع وطب اللا نفع) أي أدعو عليك بالمرض الذي لا يسكن والطب الذي لا ينفع، و(ب- كل شيء لوا طب والبيغض ما يحب) فالشطر الأول من المثل يشير إلى أن كل مرضٍ له علاج ويقارنه هنا بالحب الخالص والحب المتكلف فمن يتعرف على الحقد والكراهية لا يمكنه أبداً معرفة الحب بمعناه الحقيقي، و(ج- لو بيدو طب كان حط على راسو خب) الذي يشير إلى أن الشخص لو استطاع العمل لأفاد نفسه ولم يبقَ في حاجة، فهي أمثالٌ تحمل مضامين اجتماعية وليست طبية حتى وإن كانت تتعلق بالدعاء على الآخرين بالأوجاع والأمراض وعدم منفعة الطب والعلاج كما في المثل (أ) وكذلك حتى إن أشارت إلى أن لكل شيء طبٌ وعلاج كما يتضمن المثل (ب)، فضلاً عن إشارة المثل (ج) إلى مضمون اجتماعي يتمثل في أن كل شخص يجب أن يكون مهتماً بنفسه وناصحاً لنفسه قبل الآخرين، كما وأشارت الأمثال الشعبية إلى تسمية (الحكيم) أي الطبيب في مثلٍ يحمل مضموناً اجتماعياً أيضاً فيقول المثل (حكيم الجري على غوحو) و(سل مجرب ولا تسل حكيم)، وكذلك يشير إلى مفردة العلة التي تقابل المرض في داخل الإنسان في المثل (يا علة البلحشا يا ما لها تالي) وأخيراً أشارت الأمثال إلى مرضين في مثلٍ واحدٍ هو (حسبناها حصبة طلعت جدري) ليبين في مفهومه الكلامي تقارب الأمراض وفي مفهومه الاجتماعي تقارب المشكلات الاجتماعية التي يتعرض لها البشر والتي يتوقعها بسيطة في حين أنها معقدة.

المبحث الرابع:ـ

أولاً: **نتائج البحث**:ـ

أ- تضمن البحث مجموعة من النتائج المهمة إذ يبين في مضامينه وتفسيراته ودلالاته عدة أمورٍ منها ما يأتي:-

١- طرائق العلاج الشعبي كالحجامة والكي.

٢- أشار إلى ارتباط المرض والعلاج بفصول السنة.

٣- تضمنت الأمثال الشعبية الإشارة إلى النصائح الطبية والعلاجية.

٤- الفائدة الطبية والعلاجية الفعلية للدواء.

٥- شدة الأمراض والأوجاع.

٦- ضرورة الاهتمام بالمريض.

٧- ارتباط العلاج بالجانب الديني للمجتمع.

٨- الجانب العلمي والأكاديمي للطب.

٩- الأمراض في الأمثال الشعبية.

١٠- شدة الأمراض وطول مدتها تؤدي إلى الموت.

١١- التغذية الجيدة.

ب- كانت هناك العديد من الأمثال الشعبية التي أشارت إلى مفردات ومفاهيم ومصطلحات لها علاقة بالطب والمرض والصحة والعلاج من حيث التسمية فقط كالحكيم أو العلة أو الطب أو الوجع في حين أن مضامينها ترمي إلى جوانب اجتماعية وثقافية في المجتمع.

ثانياً: **التوصيات والمقترحات**:ـ

يوصي الباحث بضرورة إجراء الدراسات المستفيضة في مجالات التراث الشعبي والتركيز على الجانب الصحي للفرد والمجتمع، ويجب الاستفادة من التجارب التي قام بها السابقون في المجال الصحي والعلاجي إذ أنها تمثل نتاج المجتمع وتراثه وإرثه وأنها أثبتت فائدتها العلاجية والدوائية للإنسان، فضلاً عن أنه يمكننا الاستفادة من أفكار وتجارب السابقين في المجال الطبي لأنها أثبتت نجاحها وذلك من خلال تفسير ودراسة أفكارهم في الماضي وتعاملهم مع الأمراض والإصابات في ظل توفر الوسائل العلاجية البسيطة عبر مختلف المراحل الحضارية التي مرّ بها الإنسان.

الهوامش :ـ

(١) محمد رؤوف الغلامي، المردد من الأمثال العامية الموصلية، مطبعة شفيق، بغداد، العراق، ١٩٦٤، ص٣.

(٢) لطفي الخوري، في علم التراث الشعبي/ الموسوعة الصغيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، ١٩٧٩، ص١٠.

(٣) احمد الربايعة، عناصر من التراث الشعبي الأردني ووظيفتها الاجتماعية، مجلة التراث الشعبي، العدد الثاني، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، العراق، ١٩٧٥، ص٢٩.

(٤) عبد اللطيف الدليشي، الأمثال الشعبية في البصرة، الجزء الأول، بغداد، ١٩٦٨، ص٦.

(٥) خيري الدين شمسي باشا، في الأمثال الشعبية في أدب الأطفال، مجلة التراث الشعبي، العدد الأول، ١٩٨٠، ص٨٩.
(٦) خضر عبد الباقي، الصحة والطب البديل، صفحة علوم وتكنولوجيا، موقع إسلام اون لاين نت، جدة، السعودية، ٢٠٠٤/١/٨، انترنت.
(٧) نادية بلحاج، السحر والتطبيب في المغرب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، المغرب، ١٩٨٦، نشرت هذه الدراسة ضمن مواد الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي، ١٩٨٧، العدد١٧٨، موقع محمد أسليم، صفحة المقالات، ٢٠٠٤/١/٨، انترنت.
(٨) عبد الرزاق صالح محمود، الطب الشعبي في منظور أطباء الطب الحديث–دراسة ميدانية في مدينة الموصل، مجلة دراسات موصلية، العدد١٨، السنة٦، ٢٠٠٧، ص١٢٨.
(٩) نفس المصدر، ص١٢٨.
(١٠) موفق الدين أبو العباس ابن أبي اصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٦٥، ص ١١–١٢.
i. Stark Murry, Blue print for health (London), Rusk in house, 1973, p19.
(١١) إيمان رحيم رزيق، العلاقة بين الطبيب والمريض، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٨٢، ص٢٣.
(١٢) إحسان محمد الحسن، وعبد المنعم الحسني، طرق البحث الاجتماعي، مطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ١٩٨٢، ص ٣٠.
(١٣) رجاء عبد الرزاق جميل، بعض المفاهيم ومدلولاتها الفكرية في المثل الشعبي البغدادي، مجلة التراث الشعبي، العدد الثاني، السنة الثلاثون، تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩، ص١١.
(١٤) نفس المصدر، ص١١.
(١٥) فؤاد إبراهيم عباس، البلاغة في المثل الشعبي الفلسطيني، مجلة التراث الشعبي، العدد الأول، السنة الثانية والثلاثون، تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠١، ص٨.
(١٦) ياسين النصير، المثل المكاني، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث، تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩، ص٦٨.
(١٧) محمد شوقي محمد خليفة، الأمثال...خواصها ومنشؤها، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث والرابع، السنة الثلاثون، تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٩، ص٦.
(١٨) نفس المصدر، ص٦.
(١٩) نفس المصدر، ص٦.
(٢٠) مهدي حمودي الأنصاري، الأمثال الشعبية البغدادية، مجلة التراث الشعبي، العدد الثالث والرابع، مصدر سابق، ص٣١.
(٢١) محمد شوقي محمد خليفة، الأمثال...خواصها ومنشؤها، مصدر سابق، ص١٢.
(٢٢) وسيلة محمود الجلبي، صور من التراث الفلسطيني في الأمثال الشعبية، صحيفة الجزيرة، العدد١٣٣٦٤، السعودية، ٢٠٠٩/٣/١٩، انترنت.
(٢٣) خليل محمد حسين الخالدي، خصائص المجتمع الموصلي–دراسة اجتماعية ميدانية، دار ابن الأثير للطباعة والنشر، نشر مركز دراسات الموصل/ جامعة الموصل، العراق، ٢٠٠٦، ص٢٦.
(٢٤) وسيلة محمود الجلبي، مصدر سابق، انترنت.

(٢٥) احمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، الجزء الثاني، الأنساق، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٦٧، ص١٩٠، نقلاً عن خليل محمد حسين الخالدي، خصائص المجتمع الموصلي–دراسة اجتماعية ميدانية، مصدر سابق، ص٣٣.

(٢٦) عبد الله مرقس رابي، التحضر في الموصل، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٩٥، نقلاً عن خليل محمد حسين الخالدي، خصائص المجتمع الموصلي–دراسة اجتماعية ميدانية، مصدر سابق، ص٢٧.

(٢٧) خليل محمد حسين الخالدي، خصائص المجتمع الموصلي–دراسة اجتماعية ميدانية، مصدر سابق، ص٤٤.

(٢٨) جعفر حسن صادق، الرحلات العلمية من الأندلس إلى المشرق، عصر الإمارة ١٣٨–٣١٦هـ/ ٧٥٥ – ٩٢٨ م، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، إشراف الدكتور:– ناطق صالح مطلوب، نيسان، ١٩٨٥، ص ١١٧.

(٢٩) رواه البخاري، رقم الحديث ١٢٨٦.

(٣٠) مشعل القشعان، الطب البديل ينظر للإنسان جسداً وروحاً و الطب الحديث يتعامل معه ككتلة من اللحم، منشورات جريدة الرياض اليومية، العدد ١٢٧٧٨، السنة ٣٩، الجزيرة نت، جدة، السعودية، ١٢/ ٤/ ٢٠٠٣.

(٣١) العقيلي في الضعفاء ٩٢/٢، والطبراني في المعجم الكبير رقم ١١٩٠–قطعة من المفقود، والمعجم الأوسط ١٧٤/٨ رقم ٨٣١٢، وأبو نعيم في الطب النبوي رقم ١١٣، هذا الحديث ضعيف في إسناده.

المصادر التي اعتمدها الباحث في جمع الأمثال الشعبية الخاصة بالطب والعلاج والصحة والمرض (موضوع البحث):–

١– ريم أيوب محمد، مضامين الأمثال الشعبية (دراسة اجتماعية–تحليلية للأمثال الشعبية الموصلية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الموصل، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، ٢٠٠٤.

٢– عبد الخالق خليل الدباغ الهذلي، مجمع أمثال الموصل العامية–شرح وتحليل، نشر عبد الرحمن كركجي صاحب المكتبة العربية بالموصل، (الجزء الأول، الجزء الثاني، ملحق أمثال الموصل العامية)، ١٩٥٦.

٣– القس الفونس جميل شوريز، مجموعة أمثال الموصل، المطبعة العربية، بغداد، ١٩٣٧.

٤– محمد رؤوف الغلامي، المردد من الأمثال العامية الموصلية، عني بطبعه ونشره مؤيد الغلامي وساعدت وزارة التربية على نشره، مطبعة شفيق، بغداد، ١٩٦٤.